جامعـــة عين شمس — كليـــة الآداب

قســم اللغـــة العربية وآدابهـا

عناصـــر البنـــاء الفنى فى شعر أبـــى نـواس
(دراســـة تحليليـــة)

بحث لنيل درجة الماجستـــير فى الآداب

مقـــدم

مـــن

عبد الناصـــر حســـن محمد شعبـان

المعيد بقسم اللغة العربيـــة وآدابهـا

باشـــراف

الأستاذ الدكتـــور ابراهيم عبد الرحمن محمـــد

(١٩٨٩)

مقدمة

يعتمد البحث الأدبى المعاصر على لغة النص بوصفها المادة الملموسة التى يستطيع الدارس من خلالها إدراك العمل الأدبى وتحليله ودراسته ، حيث تعد لغة الأديب وسيلة فعالة للكشف عن عالمه الحقيقى ذلك العالم الذى يموج بداخلها ويتبدى من خلالها .

وفى ظل مجموعة من المقولات النقدية التى تحتاج إلى إعادة النظر تبقى الحاجة الماسة لدراسة الشعر العربى القديم مرة أخرى .

فمع استحكام عامود الشعر العربى فى النقد والبلاغة القديمين ، ومع الإيمان بفكرة الأغراض الشعرية ، وكون البيت الشعرى وحدة بناء القصيدة ، فضلا عن عدم الأخذ بفكرة التطور فى الدلالة اللفظية ، وثبات المعنى للكلمات على ما كانت عليه ، مع كل ذلك تصبح دراسة شعر أبى نواس أو غيره من خلال منظور فنى معاصر عملا ضروريا . لماذا أبو نواس دون غيره ؟

لعل أهم مايرشح اختيار أبى نواس أنه يعد — بحق — ظاهرة فنية فريدة من نوعها تقع على حافة تفصل بين مرحلتين ثقافيتين وحضاريتين بحيث يجسد شعره كل ذلك مجتمعا فتتلاحم فيه عناصر الاتباع والإبداع فى نسيج متكامل معا .

وإذا كان لبعض الدراسات الحديثة من جهد فى تقييم شعر أبى نواس فإنها — على الرغم من جدتها وطرافتها — تقوم على العناية بالجوانب التاريخية تارة ، والجوانب الموضوعية تارة أخرى ، مهملة بذلك جوهر العمل الإبداعى ،

أعنى أداته بوصف الأدب نشاطا انسانيا يتبدى من خلال لغته .

من أجل هذا يقوم البحث على استخلاص مافى النصوص الشعرية من خصائص لغوية وتعبيرية تكشف عن رموزها الموضوعية من خلال نظرة فنية معاصرة متحررة من القيود النقدية القديمة ، تلك التى حالت دون تذوق هذا الشعر تذوقا فنيا متكاملا .

وتعالج الدراسة شعر أبى نواس منهجيا من خلال منظور تكاملى لايقف عند منهج بعينه إلّابمقدار مايسهم فى خدمة التفسير الفنى للنص.

ولقد كان المنهج الجمالى الذى يتخذ من لغة الشعر وتراكيبه معيارا جيدا لنقده أحد الركائز الأساسية للدراسة .

كماكانت الأدوات الإجرائية للمناهج الحديثة كالأسلوبية والبنيوية أمرا لايمكن الاستغناء عنه ، فهذه المناهج بأدواتها تعين الباحث ،وتفتح أمامه آفاقا علمية تدعم مايتصل بالبحث من نتائج .

ولقد قسم الباحث دراسته إلى بابين : تناول فى الأول منهما دراسة البنية الإيقاعية وذلك اعتمادا على أن العامل البنائى المسيطر فى بيت الشعر والذى يعدل ويكيف بقية العناصر ويمارس بالتالى تأثيرا حاسما على جميع مستويات هذا الشعر الصوتية والصرفية والدلالية هو النموذج الخاص بالإيقاع. فالإيقاع بوصفه التناوب الزمنى المنتظم للظواهر المتراكبة هو الخاصية المميزة للقول الشعرى والمبدأ المنظم للغته .

ويقع هذا الباب فى فصلين : خصص الفصل الأول لدراسة الأوزان والقوافى بالاعتماد على الإحصاء الدقيق بوصفه مؤشرا كميا على تواتر بعض الظواهر الإيقاعية

بعيدا عن المقولات العروضية المألوفة ، ولقد خصص الفصل الثانى لدراسة موسيقى الحشو بكل ماتنطوى عليه من إمكانات إيقاعية ، وذلك من خلال مؤشرات تقنية كالتكرار اللفظى ومايندرج تحته من تشكيلات صوتية متنوعة كتكرار الحروف ثم الألفاظ ثم تكرار الجملة الشعرية وكذلك ماينطوى عليه الجناس. ورد الأعجاز على الصدور من طبيعة تكرارية ذات ايقاعات متناغمة .

ولقد عالج الباب الثانى البنية الدلالية فى شعر أبى نواس من خلال فصلين : خصص الأول منهما لدراسة شرائح القصيدة من خلال البناء الدلالى المتكامل لها لتأكيد العلاقة الوثيقة بين محاورها الدلالية المختلفة . كما وصفت الدراسة المقطوعة الشعرية والقصيدة المتكاملة توصيفا يميز كلا منهما تمييزا واضحا .

وخصص الفصل الثانى لدراسة الصورة دراسة معجمية ،على أساس أنّ الصورة الشعرية تتمثل من خلال العلاقة التى يجريها الشاعر فى لغة القصيدة بين الألفاظ والعبارات .

ولقد اختتم الباحث دراسته ببيان أهم ماطرحه البحث من نتائج فى فصول البحث المختلفة .

وأخيرا يجدر بى أن أخص بالشكر أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن الذى تولانى برعايته وأبوته وصداقته وعلمه ومازال حتى الآن هاديا لى وللكثيرين من أمثالى فى عالم تحفه ـ طوال الوقت ـ مخاطر الضياع والسقوط .

أما أستاذى الدكتور محمد عبد المطلب فلقد أفدت منه كثيرا حيث لم يبخل على أبدا

بنصائحه العلمية الغالية ،ضابطا ومعلما وصديقا . فله كل آيات الوفاء والشكر .

كما أتوجه بالشكر العميق للأستاذ الدكتور الطاهر مكى لما أسهم به ومازال من انجازات عظيمة تتصل بالبحث العلمى فى معهدنا الحبيب (كلية الآداب بجامعة عين شمس) .

وللكثيرين الذين امتدت أياديهم بالمساعدة العلمية للبحث وصاحبه أقدم لهم أسمى معانى العرفان بالجميل وأخص منهم الأخ والصديق الأستاذ محمد محيى الدين طلعت الذى لم يبخل بجهد ولم يدخر وقتا فى المساعدة فكان نعم الصديق .

* * * * *

ملحوظة

نظرا لأن الباحث قد رجع لأكثر من نسخة لديوان أبى نواس فإنّ ذكر كلمة " الديوان " دون تحديد يقصد بها طبعة دار الكتاب العربى بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى فعليها كان الاعتماد فى معظم أجزاء الرسالة ، وفى كل ماتم من إحصاء للظواهر المختلفة، وإلاّ فما كان من تحقيقات أخرى لنسخ الديوان سنذكر فيها الطبعة والتحقيق .

إهـــــــداء

إلـى رمـــز العطـــــاء والوفـــــاء

إلى عمـــــــــتى العـــزيـزة

حسنيـــــــة محمد شعبـــــان

الباب الأول

البنية الإيقاعية

تمهيـــــــــد

مما لاجدال فيه أن فن الشعر يمتاز عن غيره من فنون القول بموسيقيته وإيقاعه ، فتعد موسيقى الشعر واحدة من أهم عناصر التشكيل الفنى خطرا فى بناء القصيدة .

غير أن هذا العنصر الهام لم ينل حظا كافيا من الاهتمام عبر تاريخ الشعر العربى منذ العصر الجاهلى حتى النصف الثانى من القرن العشرين على وجه التقريب .

فمنذ أن وضع الخليل بن أحمد الفراهيدى القوانين الأساسية لأوزان الشعر فى القرن الثانى الهجرى ، ومنذ أن تبعه بعض البلاغيين فى دراسة بعض الظواهر الصوتية المؤدية إلى التنافر أو الانسجام فى أبيات الشعر ، لم يضف الى ذلك جديد سوى بعض الشروح والتعليقات .

ومع بداية النصف الآخر من هذا القرن ظهرت اتجاهات البحث عن وظائف ماعرف بعلمى العروض والقوافى ، ثم تواصلت الحركة باتجاه البحث عن فهم شامل لموسيقى الشعر العربى .

" ويعد الدكتور محمد مندور رائد أول محاولة علمية لتحليل موسيقى الشعر العربى القديم ورصد مقوماتها عن طريق سلسلة من التجارب المعملية الدقيقة التى قام بإجرائها فى معمل الأصوات بباريس فى أثناء وجوده فى فرنسا فى الفترة الواقعة مابين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٩ " .(١)

---

(١) د / إبراهيم عبد الرحمن ، بين القديم والجديد "دراسات فى الأدب والنقد" ، مكتبة الشباب ١٩٨٧ ، ص ١٢٤ .

وقد نشر ذلك فى مقال له بعنوان : " الشعر العربى : بناؤه ، إنشاده ، وزنه "[١] .

وقد تناول فيه قواعد الخليل مقررا "أنه وإن يكن من الثابت أن الخليل قد وصل إلى نتائج أمكن الى اليوم الاعتماد عليها من الناحية العملية فى وزن أبيات الشعر العربى كله ، وحصر كافة أوزانه ، الا أن قوانينه لا تبصرنا بحقيقة الشعر العربى وعناصره الموسيقية ، ثم إنها لا تدع مجالا لفهمنا سبب حصر تلك الأوزان على ذلك النحو ، إذ ما هى العناصر التى تكون الوزن ، وهل لا يمكن أن تجتمع تلك العناصر فى أوضاع ونسب أخرى فيكون من الممكن كتابة الشعر على أوزان جديدة ؟ "[٢]

وقد اخذ الدكتور مندور على الخليل بن أحمد عدم معرفته لنظام المقاطع لعدم معرفته بالعروض اليونانى ، وقد أرجع ذلك الى سببين[٣] :

الأول : عدم كتابة الحروف الصائتة القصيرة التى نسميها حركات الفتح والضم والكسر فى صلب الكتابة العربية ، بمعنى أننا نكتفى برسم الحروف الصامتة ، وأما الصائتة فلا نكتب الا الطويل منها ، الألف والواو والياء " .

والآخر : هو ان اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية تغلب فيها الحروف الصامتة وتلك الحروف يقع معها عادة الوقف أى السكون ، ولهذا لاح للخليل أن التتابع انما يقع فى الحركات والسكنات .

---

(١) د / شكرى محمد عياد ، موسيقى الشعر العربى ، دار المعرفة ١٩٦٨ ، ص ١١ .
(٢) مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٤٣ ، ص ١٤١ . نقلا عن المرجع السابق ، ص ١١ .
(٣) د / محمد مندور . فى الميزان الجديد ، دار نهضة مصر ، ص ٢٢٧ .

ثم يخلص إلى نتيجة محددة تتمثل فى أن قصور عروض الخليل لاينبغى ان يحجب عنا أن المقطع الصوتى هو وحدة الكلام .

وقد ألف د / ابراهيم أنيس كتابه "موسيقى الشعر" فعاب أيضا على علم العروض التقليدى إسرافه فى المصطلحات بطريقة جعلت دراسته معقدة ، يصعب على الدارس استيعابها ، وفوق ذلك فقد انتقد منهج الخليل وعده منهجا غير مؤسس على أسس علمية صوتية يقول : " إننا حين نحلل ماسمّاه بالتفاعيل باحثين عن الأسس التى تخضع لها نصطدم بأمور متناقضة : فيها ناحية صناعية بعيدة عن الناحية الموسيقية والترتيب المقطعى للكلام . "(١)

وأياما كان الأمر فاننا نستطيع القول : إن نقد الدكتور مندور والدكتور أنيس لنظام الخليل قد بنيا على نقطتين : " أولاهما أن العروض الخليلى لايفى ببيان الأساس الموسيقى للأوزان العربية ، والأخرى أنه فى اعتماده على تحليل البيت الى تفاعيل يخالف الأساس العلمى المعتمد فى تحليل الكلام الإنسانى كله ، شعرا أو نثرا فى أى لغة من لغات العالم وهو نظام المقاطع "(٢) .

فكلاهما متفق فى نقد العروض الخليلى من حيث خطأ الأساس اللغوى مع اختلاف بينهما فى تقدير قيمة التفاعيل حيث يرى د /أنيس أنه لاقيمة للتفاعيل وأن الأساس فى التحليل يكون بالمقاطع بينما يرى د / مندور أن تقسيم العرب

---

(١) د /إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر — الأنجلو المصرية ١٩٨١ ، ص ٥٣ .
(٢) " موسيقى الشعر العربى " ، ص ١٣ .

الشعر الى تفاعيـــــل كسب ثابت لاسبيل إلى نقده وهو جوهر الوزن.

ويمثل قمة حركة التطـور فى دراسة موسيقى الشعر العربى كتابا الدكتـــــور شكرى محمد عياد "موسيقى الشعر العربى"، والدكتور كمال أبوديب "فى البنيـــــة الإيقاعية للشعر العربـــى".

أما الكتاب الأول فقد حاول فيه الدكتور شكرى عياد "السير بقضية الشعـــــر الجديد - كماتسمى - نحو مزيد من الموضوعية، بمقارنة الشعر الجديد من حيـــث نظامه العروضى، وبناؤه الفـــنى بالأصـول المأثـورة فى ذلك"(١).

وربط هذا بطبيعة العمل الشعرى ومكان الوزن والقافية فيه، وقد رأى أن ذلك لايتأتـى الا من خلال اعادة النظر فـى علم العروض العربى "من ناحيتـــــين: دراسته على أساس من علم الموسيقى وعلم الأصوات بحيث يستوى علما حديثـــــا مساويـا لما أحـرزه هذان العلمان من تقدم... ونقله من علم معيارى يضبـــــط القواعـــد ويعنى ببيان الصواب والخطأ الى علم وصفى يسجل الظواهر العامـــــة والاختلافـات الجزئية من الناحية الوزنية"(٢).

ونستطيع أن نجمل ماأضافته هذه الدراسة الواعية أنها أرادت أن تصـــل الى فهم أدق وأشمل لموسيقى الشعر العربى من خلال الخوض فـى مسائل لـــم يتعرض لها العروض القديم كالبحث "فى الإيقاع وصلته بالوزن الشعرى. وخصائص كـــل من الأصـــوات الساكنة واللينة، واختـلاف المقاطع من حيث الطول والقصـــــر،

---

(١) موسيقى الشعر العربى، ص: ٥.
(٢) السابـــق، ص ٥.

والنبر وعـــدم النبر"[١] . وكلها مباحث لابد لدارس العروض اليوم أن يكون ملمابها .

أما كتاب الدكتور كمال أبو ديب : " فى البنية الإيقاعية للشعـــــر العربى " فهو يعد محاولة جادة للبحث عن بديل جـذرى للعروض الخليلى ، تقـوم على أساس من النبر بدلا من المعيار الكمـى للتفاعيل كأساس جوهرى فى نظـــام الخليـــل ومن الحق أن نشير الى أهمية دور النبر كعامل صوتى له دوره الخطـــير فى دلالة الشعر ، فهو يؤكد جزءا من اللفظ فيترتب على ذلك المعـنى الذى يحمله . ثم إن زيادة الإحساس بثقل النطق قد يتواكـب مع ثقل المعنى .[٢]

ولكننا على الرغم من ذلك نجـد أن القوانين الأساسية للنبر فى اللغـــــة العربية هدف لم يتيسر بلوغه على نحو متفق عليه .

إن ماوصلت اليه دراسات علم اللغة بخصوص النبر يعد فى مجمله ضئـــيلا فهـذا برجشتراسر عالم اللغة الألمانى يرى " أنه لانص نستند عليه فى إجابـــــة مسألـــة ، كيف كان حال العربية الفصيحـة فى هذا الشأن . ومما يتضح من اللغـة نفسها ، ومن وزن شعرها ، أن الضغط لم يوجد فيها ، أو لم يكد يوجد"[٣] .

أما الدكتور إبراهيم أنيس ، فإنه يسلم بأنه " ليس لدينا من دليل يهدينـــا إلـــى موضـع النـــبر فـى اللغـة العربيـــة ، كما كان ينطـــق بهـا

---

(١) موسيقى الشعر العربى ، ص ٦ .

(٢) ويجد ربنا أن نشير إلى محاولة قد سبقت هذه المحاولة ونعنى بها الدراســـة الجادة التى قام بها الدكتور محمد النويهى الا أنها قد اعتمدت على نمط واحد من النبر هو النبر اللغوى . د/ محمد النويهى : قضية الشعر الجديد " ط٢ دار الفكر بيروت ١٩٧١ .

(٣) نقلا عن د /رمضان عبد التواب ـ المدخل إلى علم اللغة ـ الخانجى ١٩٨٠ . ص ١٠٦

فى العصور الإسلامية الأولى إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء.(١)

وأيا ما كان الأمر فان القانون الأساسى الذى توصل إليه د /كمال ابو ديب يتحدد فى " أن النبر على النوى ليس ثابتا ثبلتا مطلقا .وفاعلية القانون تنبع من الحقيقة الأولى فى الشعر العربى : وهى أن الإيقاع يتخذ شكله من علاقات التتابع الأفقى بين النوى ".(٢)

ولايمكن أن يتاح لفرضية الدكتوركمال أبو ديب أن تأخذ شكلا نهائيا قبل أن تتفق الدراسات الحديثة حول الإحساس بالنبر فيعترف الدكتور كمال بذلك فيقول : " قد يكون إحساسى بالنبر نفسه أمرا يشك فى سلامته ، ولايبقى إلا اللجوء الى أكبر عدد ممكن من ردود الفعل لإعطاء الفرضية صيغة أكثر كمالا . من القضايا التى تحيرنى مثلا نبرالكلمة من الشكل (٥٠٠ ٥٠٠) إنَّ قراءتى لها تتأرجح بين (٥٠٠ ٨٠٠)وبين (٥٠٠ ٥٠٪) ولاشك أنَّ عياد وأنيس ـ واللهجة المصرية ـ ينبرونها (٥٠٠ ٥٠٪)".(٣)

من أجل ذلك فإن دراسة العروض العربى على أساس النبر يعد لونا من الدراسة غير مضمونة النتائج ولايصبح من السهل اكتشاف الدور الحقيقى الذى يلعبه النبر فى إيقاع القصيدة العربية .

وكل مايمكن أن نستفيد منه فى هذه الدراسة مااتفق عليه الباحثون من

---

(١) د /إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية" القاهرة ١٩٥٠ ص ١٠٤ .

(٢) د /كمال أبوديب .فى البنية الايقاعية للشعر العربى . دارالعلم للملايين بيروت ١٩٨١ ص ٣٣٣ .

(٣) فى البنية الإيقاعية للشعر العربى ص ٣٣ .

أنَّ النـــــبر يقـــع على الوتـد المجموع بصفة عامة.

استفادة من العرض الموجـــز السابق يحاول الباحث أن يدرس الموسيقى فـى شعر أبى نواس مع اعتبار أمرين هامـين:

الأول: عدم إهمال نظام المقاطع الصوتيـــة على أساس أن المقطـع الصوتـــــى هـــو وحدة الكلام.

والآخر: عدم دراسة النبر الشعرى إلا فى إطار ضيق نطمئن الى نتائجه ذلك ماخلـص إليه الباحثون باتفاق على أن النبر يقع على الوتد المجموع من التفعيلـــــة الشعرية.

وسيبنى الباحث دراسته للموسيقى فى شعر أبـى نواس على إطارين عامـين يحكمان البنية الإيقاعية هما:

الأول:

إطار الوزن والقافية ويتناول البحور المستخدمة بالاعتماد على كم المقاطـــع من خلال تقسيمها إلى خمس مجموعات ثم التعرف على نسب التواتر لكل بحر. وكـذلك دراسة القافيـــة بالاعتماد على حرف الروى وكل ذلك من خلال منهج إحصائـى يهـــدف إلى توصيف الإيقاع فى شعر أبى نواس توصيفا كميا دقيقا لايعتمد علـــى الآراء غير المدعمة بالإحصاء.

والآخر:

إطار موسيقى الحشو بوحداتها اللغوية وتشكيلاتها الصوتيـــة المتنوعـــة. ويشمل ذلك ألوانا مختلفة من البديـــع كالتكرار اللفظى ومايندرج تحتـــــه